

## إسهامات الإمام أبي الوليد الباجي في الحركة العلمية خلال عصر الطوائف

Contributions of Imam Abu al-Walid al-Baji in the scientific movement during the era of sects

بوسيف سنوسي\*، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران ( الجزائر) [boucifhocine@gmail.com](mailto:boucifhocine@gmail.com)يوسي الهواري ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران ( الجزائر) [Youssi.lahouari@gmail.com](mailto:Youssi.lahouari@gmail.com)

تاريخ النشر: 2022/6/2

تاريخ القبول: 2022/3/19

تاريخ الاستلام: 2021/10/2

## ملخص:

يعتبر أبو الوليد الباجي أحد كبار فقهاء المالكية خلال القرن الخامس الهجري ببلاد الأندلس، والذي كانت فيه هذه الديار تعيش حالة من الانقسام السياسي بين ملوك الطوائف أدى إلى إشعال حروب داخلية أفسدت البلاد وأهملت العباد، وفي مقابل هذه الحن العظيمة بقيت الحركة العلمية مستمرة في نشاطها، وأخذت تزدهر وتتوهج حتى اعتبر هذا العصر أحد أزهى العصور الحضارية والعلمية للأندلس. ولقد كان هذا الإمام أحد أبرز المساهمين في ديمومة هذه الأجواء العلمية وذلك من خلال الجهود المضنية التي بذلها في تحصيل مختلف العلوم، ونشرها بعد ذلك في شتى الأصقاع الأندلسية وعلى مختلف المستويات سواء من حيث التدريس في الحلقات أو كتابة المؤلفات أو مناظرة العلماء، وهذا البحث هو محاولة للوقوف على تلك الإسهامات الهائلة لهذا الإمام الموسوعي وإبراز لقيمتها العلمية.

## Abstract:

Abu Al-Walid Al-Baji is considered one of the senior Maliki jurists during the fifth century AH in Andalusia, in which these countries were living in a state of political division between the kings of the sects that led to the ignition of internal wars that corrupted the country and decimated the people, and in return for these great adversities the scientific movement continued its activity, And it began to flourish and glow until this era was considered one of the most brilliant civilized and scientific eras of Andalusia.

This imam was one of the most prominent contributors to the perpetuation of this scientific atmosphere, through the strenuous efforts he made in acquiring various sciences, and then spreading them in various Andalusian regions and at various levels, whether in terms of teaching in circles, writing books, or debating with scholars, and this research is An attempt to identify those tremendous contributions of this encyclopedic imam and to highlight their scientific value.

**Keywords :** contributions; scientific movement; Imam Al-Baji.

## مقدمة :

مع دخول بلاد الأندلس عصر ملوك الطوائف حلت بهذه الديار محنٌ عظيمة وتفككت وحدتها السياسية إلى عدة دويلات، على رأس كل قطر منها أمير متغلب عليها يسعى لتوسع دائرة حكمه وبسط نفوذه على بقية الأمراء، فتقاتل هؤلاء الأمراء قتالا شديدا واستمرت هذه الحروب الداخلية لسنوات عديدة أهلكت الحرث والتسل، فساعت بذلك أحوال الناس بهذه الديار وتردت أوضاعهم بعد أن سفكت دماؤهم وخربت دورهم وأبنيتهم ونُهبت أموالهم وأراضيهم.

وفي مقابل هذا الانقسامات الداخلية وما ترتب عنها من تمزيق لأركان الدولة بقيت الأحوال بقيت الحركة العلمية في هذه الديار محافظة على ديمومة نشاطها، بل وأخذت تزدهر خلال هذا العصر وتعرف توهجا كبيرا حتى اعتبر عهد الطوائف أحد أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم يكن لهذه الطفرة العلمية أن تحصل لولا تلك الخدمات الجليّة والإسهامات الكبيرة التي بذلها زمرة من الأئمة الأعلام، ويأتي في طليعة هؤلاء إمام المالكية أبي الوليد الباجي.

ومن خلال هذا البحث نريد تسليط الضوء على تلك الجهود القيّمة العظيمة التي بذلها الباجي خدمة للعلم على وجه الخصوص، إضافة إلى بيان مدى موسوعية هذا الإمام وسعة اطلاعه ومكانته بين أقرانه، وذلك انطلاقا من التساؤلات التالية: ما هي أسباب استمرار نشاط الحركة العلمية في عصر الطوائف؟ وما العوامل التي ساهمت في تكوين الشخصية العلمية لهذا الإمام؟ وفيه تتمثل مستويات عطاء الباجي العلمي؟ وقد استعنت في سبيل الإجابة على هذه التساؤلات المنهج التاريخي الوصفي لمناسبتة موضوع البحث الذي يهدف للتتبع إسهامات هذا الإمام والكشف عنها.

## 2. عوامل ازدهار النشاط العلمي في عصر الطوائف

لقد أدى الصراع الداخلي في عصر الطوائف إلى تفكيك وحدة بلاد الأندلس وتمزيق أركان الدولة الأموية، وساءت أحوال المسلمين بهذه الديار بعد التردّي الكبير في الأوضاع السياسية والاجتماعية، في وقت بقيت الحياة العلمية مستمرة ومحافظة على نشاطها، ولم يكن لهذا أن يتحقق لولا جملة من العوامل التي أسهمت في تعدد مظاهر العلوم وتنوعها في هذه المرحلة العصبية، والتي مردّها إجمالا إلى أمرين، وهما: الميراث العلمي الهائل الذي تركه الأمويون وكذلك العناية الفائقة من ملوك الطوائف بالعلم والعلماء.

## 2. 1 الميراث العلمي الهائل للدولة الأموية:

تعتبر مرحلة حكم الأمويين للأندلس واحدة من أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية؛ سياسيا واجتماعيا وثقافيا، سواء في فترة خضوعها للسلطان الأموي المركزي بدمشق، أو في فترة الخلافة العباسية و التي أصبحت فيه إمارة أموية مستقلة، ويرجع الفضل أساسا في هذا التدرج الحضاري لتلك الجهود الكبيرة التي بذلها أمراء بني أمية في العناية بالبحال العلمي، حيث انصرفوا لخدمة العلم بمجارة لأولاد عمومتهم من العباسيين في الشرف، فزحرت مجالسهم بالعلماء وامتألت مكاتبهم بالكتب. (عنان، 1997، صفحة 20)

ولعل الفترة التي حكم فيها الأمير عبد الرحمن الناصر ما بين (300هـ - 350هـ) تُبين لنا بعض ملامح هذا الاهتمام العلمي؛ إذ حقق في عهده كل المقومات المؤهلة للتقدم الحضاري، وبلغت الأندلس خلال فترة حكمه ذروة تفوقها، بعد أن عمل جاهدا على جمع العديد من المصادر المعرفية بمكتبته، إضافة إلى اهتمامه بمسألة ترجمة العلوم ونقلها إلى اللغة العربية، فشكل هذا نوع من الانفتاح الفكري على الثقافات الأخرى التي كانت تعيش داخل المجتمع الأندلسي، كما إن ابنه الحكم المستنصر كانت له مبادرات جليّة في رعاية الحركة العلمية وحمايتها والمشاركة فيها يشخصه وماله، حيث كان مصاحبا للعلماء والأدباء والفلاسفة، مهتما بجمع الكتب وقراءتها، حافظا للتاريخ، وكانت له بقصره مكتبة زاخرة بصنوف المخططات يقضي بها معظم ساعات نهاره. (طقوش، 2008، الصفحات 343-350)

وهكذا استطاع الأمويون في الأندلس بفضل إنجازاتهم وإبداعاتهم العظيمة أن يُحققوا نهضة حضارية رائدة ومتميزة، وخلّفوا وراءهم تركة علمية هائلة طرّقوا من خلالها كل أبواب العلوم من فقه وأدب وشعر وتاريخ وطب وغيرها؛ ساهمت بشكل رئيس في المحافظة على ديمومة حالة الازدهار العلمي والثقافي في هذه الديار خلال عصر الطوائف، فالتأليف التي دونت في الطب والأدب والشعر والفقه وغيرها في هذا العصر كانت مكملة للعهد الأموي، ولعبت محفوظات وكتب مكتبات الأمير الأموي الحكم المستنصر بالله التي بيعت بأبخس الأثمان دوراً رئيساً في انتشار الكتب وقراءتها، بعد أن تم عرضها للبيع في الأسواق فأدى إلى إقبال الناس على اقتنائها في الكثير من المدن الأندلسية بعدما كانت حبيسة في مكتبات قرطبة وحكراً على أصحابها (بولعراس، 2006، صفحة 120) بل يمكن القول أن مسألة التطور العلمي في عصر الطوائف ما هي إلا امتداد للجهود السابقة (العهد الأموي) وثمره وضع أصولها رجال على كل مستوى. (الحجي، 1981، الصفحات 411-415)

## 2. 2. عناية ملوك الطوائف بالعلم والعلماء:

على الرغم من الصراع السياسي الذي قضى على وحدة الأندلس وأُذِرَ بقرب زوال ملكها في عهد الطوائف، إلا أن أحد أبرز حسنات هذا العصر هو استمرار نشاط الحركة العلمية وتطورها في مختلف الفنون، ولم يكن لهذه الطفرة العلمية أن تحصل في الأندلس لولا ذلك الاهتمام الكبير الذي لقيته العلم والعلماء من قِبَل أطراف النزاع هناك، حيث حرص كل أمير على تنشيط الحركة العلمية ودعمها في مملكته الصغيرة بمختلف الوسائل، ومن مظاهر هذا الاهتمام :

- التسابق في إقامة المراكز العلمية الكبيرة في ربوع بلاد الأندلس، حيث كان يشرف عليها كبار العلماء في مختلف الفنون؛ مما جعل من بعض المدن الأندلسية حواضر علمية عامرة تشد إليها الرّحال من كل الأقطار، على غرار قرطبة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة وطليطلة وغيرها كثير (الحجي، 1981، صفحة 415).

- استقطاب أصحاب الفضل من العلماء والأئمة المشهورين من كافة بلاد الإسلام، مع الإحسان إليهم وتولية البعض في الوظائف العليا في المملكة كالقضاء والوزارة والفتوى والاستشارة وغيرها. (المراكشي، 1967، صفحة 125)

- تحويل قصور الحكام إلى مجالس علمية تعقد فيه عديد المناظرات، وي طرح من خلالها قضايا خلافية للنقاش بين أهل العلم في مختلف التخصصات، خصوصاً ما تعلّق منها بأمور الدين كمنظرات أبي الوليد الباجي لابن حزم الظاهري. (المراكشي، 1967، صفحة 412)

ويبدو أن حرص هؤلاء الأمراء على تحقيق بعض الطموحات والمكاسب السياسية كان الدافع الرئيس من وراء هذا التنشيط للحياة العلمية والاهتمام بأهلها؛ لذلك تنافسوا في تقريب أكبر عدد ممكن من أهل العلم إلى مجالسهم، وجعلوا منهم القضاة والوزراء والمستشارين وأغدقوا عليهم في العطايا رغبة بالاستعانة بهم في القضاء على الخصوم والمناوئين من خلال استصدار بعض الفتاوى التي تبيح دم المخالف، كما فعل ابن عباد صاحب إشبيلية من استصدار فتوى من بعض الفقهاء تبيح له إزالة معارضه ابن رشيق الخارج عليه بمروسة عن السلطة (خلاف، 1992، صفحة 140)، أو رغبة منهم في كسب المشروعية الدينية لحكمهم من خلال استغلال مكانة العلماء وقدرتهم الكبيرة في التأثير على توجهات العوام واختياراتهم السياسية. (رفيع، 2011، صفحة 21)

## 3. عوامل تكوين شخصية الباجي العلمية

### 3. 1. مرحلة التعليم الداخلي:

وُلِدَ أبو الوليد الباجي سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة (403هـ) بمدينة "بطلوس" وانتسب إلى أهل بيت علم مشهود لهم بالصلاح والتقوى والنباهة وحُسن التدين، فأبوه "خلف" كان مُقبلاً على العبادة والاعتكاف والصوم، مُحباً للعلم ومُكرماً لأهله، وأمّه "أم سليمان" الفقيهة العابدة، المعروفة بعفتها وصلاحتها، وهي بنت فقيه الأندلس وعالمها الجليل أبي بكر الحصار، وقد نبّه أبو

الوليد الباجي نفسه على هذا المقام العائلي الشريف في نصيحته لولديه، فقال: "واعلم أننا أهل بيت لم نخل بفضل الله ما انتهى إلينا من صلاح وتدين وعفاف وتصاون..." (الباجي، النصيحة الولدية، 1999، صفحة 15)، وهكذا تهيأت لهذا الإمام وهو صغير السن جميع مقومات طلب العلم بين أحضان هذه الأسرة الفاضلة، فانطلق بعزم منذ حداثة عمره في تحصيل مختلف العلوم، ويعود الفضل في تكوينه الأوّلي إلى خاله العالم الفقيه "ابن القبري" الذي سمع عنه أبي الوليد الباجي فنونا متنوعة، خاصة ما تعلّق بعلوم اللغة العربية. (ابن فرحون، 1963، صفحة 360)

وبعد أن تلقى الباجي مبادئ العلوم عن خاله ابن القبري انتقل في رحلة داخلية قاصدا كبرى الحواضر العلمية الأندلسية في عصره، وأخذ عن خلق كبير من كبار الشيوخ الأندلسيين، ومن أبرز تلك الحواضر العلمية التي دخلها (عياض، 1983، صفحة 806):

قرطبة: وقد أخذ فيها علوم اللغو والنحو والحديث عن شيخ الأندلس وقاضي القضاة أبي الوليد يونس بن مغيث القرطبي، وتلقى علوم القرآن والقراءات من الإمام المقرئ الكبير أبي محمد مكي بن أبي طالب القرطبي. طليطلة: وفيها تفقه الباجي على يد العالم الفقيه أبي بكر خلف بن أحمد المعروف بابن الرّحوي طرطوشة: وقد أجاز له أبو سعيد الجعفري الطرطوشي في كتب أبي جعفر النّحاس "ناسخ القرآن ومنسوخه"، وكتاب "العالم والمتعلم في معاني القرآن"، و"إعراب القرآن".

سرقسطة: سمع فيها الباجي الفقه والحديث من القاضي أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل سرقسطي. وشقة: وأجاز له فيها القاضي عيسى بن خلف المعروف بابن أبي درهم الوشقي الباجي كتاب: عشرة يحي بن يحي الليثي، وكتاب المجالس لأصبغ بن الفرّج، وكثير من مروياته.

وهكذا لم يفوّت الباجي على نفسه فرصة الاستفادة من تلك البيئة العلمية المزدهرة التي كانت تسود عصره، واستطاع أن يُحصّل خلال مرحلة تلقيه الداخلي أهم مبادئ الفنون من علم القراءات واللغة العربية والفقه والحديث، والتي لا غنى لأيّ طالب علم عنها في أولى خطواته التعليمية، بل إنّ الباجي جعل من هذه العلوم التي حازها على يد شيوخه الأندلسيين الأساس الذي سيّبن عليه بعد ذلك في رحلته العلمية الخارجية صوب بلاد المشرق.

### 3. 2 مرحلة التعليم الخارجي:

مع علوّ همة أبي الوليد الباجي لم يكن ليقف عند هذا الحدّ من التحصيل، بل رغب في الاستزادة وعزم على الخروج من الأندلس والتوجه صوب بلاد المشرق على وجه الخصوص للقاء أجلة شيوخها وأئمتها آنذاك، ولم تزل أقطار تلك الأفاق تواصله، وعجائب الشام والعراق تغازلها، حتى أجاب وشدّ الركاب، وودع الأوطان والأحباب. (ابن بسام، 1978، صفحة 95)

فتزل أولاً بمصر وأخذ عن الفقيه المالكي، المحدث الزاهد، أبي محمد عبد الله بن الوليد الأنصاري الأندلسي، وذلك سنة 426هـ، وأتجه بعدها إلى أرض الحجاز قاصدا مكة المكرمة على وجه التحديد، ليلتقي بكبار علمائها في الحديث والفقه، فأخذ عن خلق كثير، منهم: أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي المالكي، المشهور بابن السّمّاك، الحافظ الإمام الثقة، وشيخ الحرم في عصره، وهو من أكثر الشيوخ الذين لازمهم الباجي حيث بقي معه نحو ثلاثة أعوام، وسمع أيضا من أبي القاسم عبد الرحمن بن محرز القيرواني، الفقيه النبيل، المحدث العالم الجليل، وقد روى الباجي أيضا عن أبي بكر محمد بن سعيد بن سختويه كتاب "أسامي شيوخ البخاري الذين روى عنهم في الصحيح". (ابن فرحون، 1963، صفحة 197)

وبعدها قصد أبو الوليد الباجي العراق، واستقر بها مدة طويلة، أجر فيها نفسه لحراسة الدروب ليلا، والتفرغ نهارا لملازمة أهل العلم ومجالستهم، وقد أخذ عن خلق كثير، منهم: شيخ الشافعية في عصره القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري،

والأصولي الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الأصولي الفقيه، وأبو الفضل محمد بن عبد الله بن أحمد البغدادي، المعروف بابن عمرو المالك، كان من حُفّاط القرآن، ومُدرّسه، وإليه انتهت الفتيا في الفقه على مذهب مالك ببغداد، وأبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصيّمي، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره. (عياض، 1983، صفحة 762)

ودخل الباجي بعد ذلك الشام فسمع من كبار أئمتها كأبي الحسن محمد بن أحمد الدمشقي، المعروف بالمزني، الشيخ الثقة المأمون، وأخذ أيضا عن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن السراج الحلبي، المشهور بابن الطُّبَيْز. (ابن فرحون، 1963، صفحة 360)

وفي حقيقة الأمر أن عدد من تتلمذ على أيديهم الباجي في رحلته العلمية الخارجية كثير جدا، إذ أنه بقي نحو ثلاثة عشر ببلاد المشرق حاز خلالها علما غزيرا في مختلف الفنون، وكان أكثر ما سمع من كبار الفقهاء البارعين والمحدثين الحُفّاط والأصوليين النُّظار، ولم يقتصر في طلبه على الأخذ عن علماء المذهب المالك، بل أخذ عن بعض فقهاء مذهبي الشافعية والحنفية أثناء فترة مقامه ببغداد على وجه الخصوص.

#### 4. نشاط الباجي العلمي

عاد الباجي إلى الأندلس بعد رحلته العلمية المباركة وقد تبوء مقاما رفيعا في العلم، جعله في طليعة كبار أئمة المسلمين ببلاده؛ ينافح عن العلم وينشره خدمة لدينه وأُمَّته حتى قضى نحبه، وقد تمثّل عطاء الباجي العلمي عموما في مستويات ثلاثة: التدريس والتأليف والمناظرات.

#### 4. 1 التدريس:

بعد أن عاد أبو الوليد الباجي إلى الأندلس من رحلته العلمية المشرقية بعلم غزير، في اللغة العربية والفقه وأصوله وعلوم الحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية، بدأ في مرحلة العطاء ونشر العلوم بين المسلمين خدمة لدينه وأُمَّته، فتصدى للتدريس والوعظ في هذه الديار، ولم يفتر عن التدريس بالرغم من اشتغاله في أول حياته في بعض المهن الشاقة لكسب قوته، حيث كان يخرج للإقراء أحيانا وفي يده أثر المطرقة، فذاع صيتُ دروسه وبلغت شهرة هذا الإمام الآفاق، ورغب الكثير من طلبة العلم في الأخذ عنه فقصودوا هذه المجالس التعليمية جماعات من داخل الجزيرة الأندلسية أو من خارجها، فسمع من الباجي وروى عنه خلق كثير. (المقري، 1998، صفحة 78)

ولما وجد الإمام الباجي بلاد الأندلس قد تمزقت أركانها وتفككت وحدتها السياسية إلى عدة دويلات متناحرة فيما بينها؛ حمل لواء الإصلاح السياسي بين ملوك الجزيرة الأندلسية من أجل جمع كلمتهم وتوحيد صفهم الداخلي، وجاب بلاد الأندلس شرقا وغربا لعرض مشروعه الإصلاحي على زعماء الممالك، فقام فيهم مؤمن آل فرعون يُحْثُ وَيُرْغِبُ وَيَحْذَرُ الْمَالَ، وفي المقابل هؤلاء الأمراء يجلبون الإمام في الظاهر ويستدبرون دعوته في الباطن ويستثقلون نزعته، فلم يفد منهم شيئا وباءت كل جهوده الإصلاحية بالفشل في ظل إصرار أطراف النزاع على حال الشقاق والاختلاف. (العبادي، 2008، صفحة 337)

وهكذا رفض ملوك الطوائف مشروع الوحدة السياسية الذي قاده الباجي ولم يلتفتوا حوله، إلا أن بعض الأمراء رحّبَ بزيارة هذا الإمام إلى مملكته وأكرم وفادته، بل وقدموه في بلاطهم وأرسلوا في طلبه كي يحظى بصحبته ومجالسته، فقد حظي الباجي بترحيب كبير من حاكم "بطيلوس" المتوكل بالله، واستعمله في حفظ الأمانات وأجزل له في العطاء وولاه القضاء، وكان المقتدر بالله حاكم مملكة "بلنسية" يياهي بانخياز الباجي إلى سلطانه وإيثاره لحضرته باستيظانه، ويحتفل فيما يرتبه له ويجزيه ويُتزلّه في مكانه متى كان يُوافيه، وقد دخل الباجي مملكة "سرقسطة" أكثر من مرة وأقام بها مدة طويلة، وكان على اتصال بحكامها وعمل في محافلها، واستقر في آخر عمره بمملكة "ألْمِرية" وبها توفي سنة 474هـ. (الحجي، 1981، صفحة 343)

ومما لا شك فيه أنَّ الباجي قد استغل دخوله إلى كثير من المدن الأندلسية في إطار زيارته السياسية وقد كان في ثانيا هذه الزيارات إضافة إلى دعوته لإصلاح ذات البين بين ملوك الطوائف يجلس أيضا لتعليم الناس وتلقين العلوم، وكان شديد الحرص على نشر السنة من خلال شرحه "صحيح البخاري" في عدة ممالك كبلنسية وسرقسطة ودانية وألمرية وغيرها (العبادي، 2008، صفحة 337)، وبذلك تعددت حلقات الباجي التعليمية وتمكن عدد كبير من طلبة العلم ممن لم يتيسر لهم السفر في الأخذ عن الباجي والتفقه على يديه.

وقد بلغ عدد من تخرجوا على يدي هذا العالم الجليل زهاء أربعة آلاف تلميذ (مخلوف، 2003، صفحة 120)، من أشهرهم: حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر، وحافظ المشرق أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي، والفقيه المالكي أبو بكر الطرطوشي، أبو علي الحسين بن أحمد الغساني، الجياني الأندلسي، أبو جعفر أحمد بن علي بن غزلون الأموي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فُتُوح الحميدي الأندلسي، أبو القاسم خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأندلسي، أبو القاسم أحمد بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن أبي ليلى المرسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الحُشَني المرسي، المعروف بابن أبي جعفر، أبو بكر يحيى بن محمد بن دُرَيْد الأسدي، أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح الأندلسي، وغيرهم الكثير ممن تتلمذوا على يد الإمام الباجي وحملوا أمانة تبليغ العلم من بعده في مختلف الأصقاع وكانوا بحق خير خلف لخير سلف.

#### 4. 2 التآليف:

على الرغم من أنَّ الإمام أبا الوليد الباجي صرَّفَ معظم متنقلاته بين المدن الأندلسية لأجل نشر العلم وسعيه الخيِّث في توحيد كلمة ملوك الطوائف والإصلاح بينهم، إلا أنَّ ذلك لم يمنع الإمام من التصدي للتأليف والتصنيف، بل إنه قد برع في الكتابة وأبدع في التصنيف وزادت مؤلفاته عن الثلاثين مصنفا في مختلف الفنون، في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والجدل ومسائل الخلاف، والتوحيد والزهد والرقائق وغيرها.

#### - مؤلفات الباجي الخاصة بالمذهب المالكي:

يعدُّ أبو الوليد الباجي أحد كبار الفقهاء المجتهدين الذين خدموا المذهب المالكي وعملوا على نشره ببلاد الأندلس، وتجلَّى ذلك بوضوح من خلال كثرة المصنفات العلمية التي ألفها تأصيلاً وتفريعاً حول فقه مالك وأصحابه، والتي لم يصل إلينا منها إلَّا البعض مما هو محقق ومطبوع، وهي:

✓ **المنتقى:** وهو من أبرز مصنفات وأكثرها انتشاراً، قد ألفه بعد أن طلب منه أحد تلاميذه أن يُبسِّط لهم عبارات كتابه الكبير "الاستيفاء" ويُقرَّب إليهم معانيه ويوضحها حتى يسهل على الطلاب أخذه والاطلاع عليه، فأجابهم الإمام إلى ذلك واختصر الاستيفاء في كتاب المنتقى، وقد صرح الباجي بذلك في مقدمة المنتقى بقوله: "فإنك ذكرت أن الكتاب الذي ألفت في شرح الموطأ المترجم بكتاب الاستيفاء يتعذر على أكثر الناس جمعه، ويعد عنهم درسه، لا سيما لمن لم يتقدم له في هذا العلم نظر، ولا تبين له فيه بعد أثر، فإن نظره فيه يبلد خاطره ويحيره لكثرة مسائله ومعانيه يمنع تحفظه وفهمه، وإنما هو لمن رسخ في العلم وتحقق بالفهم... فأجبتك إلى ذلك وانتقيته من الكتاب" (الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، 2012، صفحة 3). ويعتبر كتاب المنتقى موسوعة فقهية هائلة خصوصاً لمن يرغب في معرفة آراء المذهب المالكي، واعتنى فيه الباجي بالناحياتين الحديثية والفقهية معاً عناية كبيرة، حيث حاول أن يُعيد مسائل الفقه المالكي إلى أصولها من الكتاب والسنة، وبذلك تُنفى عن المذهب المالكي شُبُهة خُلُو مسائله من النصوص الشرعية، كما اشتمل هذا الكتاب على فوائد علمية في فنون مختلفة تتعلق بعلوم الحديث سنداً وممتناً، وعلوم أصول الفقه، وعلوم اللغة نحواً وصرفاً، وبالبيان بلاغة وأدباً، وغيرها الكثير.

✓ **إحكام الفصول في أحكام الأصول:** وهو كتاب قيّم بديع في أصول الفقه، كثير النفع عظيم الفائدة، وهو مصدر هام في معرفة الأصول الاجتهادية في المذهب المالكي، وجاء شاملاً لجميع أقوال أئمة المذهب المالكي ممن عُرفوا بالجودة والإتقان في هذا الفن، وقد قال الباجي عنه في مقدّمته: "... كتاباً في أصول الفقه، يشتمل على جمل أقوال المالكيين، ويحيط بمشهور مذاهبهم، وبما يُعزى من ذلك إلى مالك رحمه الله، وبيان حجة كلّ طائفة ونُصرة الحقّ الذي أذهب إليه وأعوّل في الاستدلال عليه" (الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول، 2009، صفحة 280)، والكتاب مطبوع ومحقق. حقّقه عبد المجيد التركي، وطبع في مجلدين بدار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة (1407هـ، 1986م) و الطبعة الثانية (1415هـ، 1996م). وحقّقه أيضاً عبد الله محمد الجبوري، وطبع بمؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة (1409هـ).

✓ **الإشارة إلى معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل:** وهو عبارة عن مختصر في علم أصول الفقه، وهو مفيد لطلبة العلم المبتدئين؛ لأن عبارته سهلة وواضحة، اكتفى فيه صاحبه بذكر ما ترجّح لديه من آراء أصولية مالكية، مُدعماً رأيه بجملة من الأدلة الثّقليّة والعقليّة، وقد اختصر الباجي كتابه هذا من كتابه الكبير المفصّل في الأصول "إحكام الفصول في أحكام الأصول"، والكتاب مطبوع وتم تحقيقه عدة مرات، حيث قام بتحقيقه بالجزائر: محمد علي فركوس، وحقّقه بتونس: نزيه حماد، وبالمملكة العربية السعودية قام بتحقيقه: محمد حسن إسماعيل. (رفيع، 2011، صفحة 86)

✓ **فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام:** كتاب في الفقه القضائي المالكي، مشحون بالمسائل المتعلقة بأحكام القضاء والشهادات واليمين، ويتحدث فيه الباجي أيضاً عن إجراءات التقاضي بين المتخاصمين وهو ليس من الأمهات المطولة المستوعبة للمسائل بل هو مختصر في موضوعه، توخى مؤلفه فيه سبيل الإيجاز، واقتصر على رؤوس المسائل التي تصلح للمذاكرة دون أن يوغل في التفريع، وقد تحدّث الباجي عن دوافع تأليف هذا الكتاب في مقدمته بقوله: "إني لما رأيت ما ابتلي به الفقهاء والحكام من النظر والفتوى بين الأنام في الأحكام، بادرت بكتاب هذا، وخرجت غرر المحاضرة، ورؤوس مسائل المناظرة، مما لا يستغني الفقيه ولا الحاكم عن مطالعتها، والوقوف على أصولها" (الباجي، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، 2006، صفحة 5) والكتاب مطبوع ومُحقّق عدة مرات، فقد حقّقه الدكتور محمد أبو الأجناف، وطبع في مجلد واحد بدار ابن حزم ببيروت ومكتبة التوبة بالرياض، الطبعة الأولى (1426هـ، 2006م). وحقّقه الباتول بن علي من المغرب، وطبع في سنة (1410هـ).

وقد فُقدت أكثر المؤلفات العلمية التي دونها الباجي في الفقه المالكي خصوصاً تلك التي تتعلق بشرح أمهات المذهب، ككتابه "الاستيفاء" والذي يعتبر من أكبر شروح الموطأ وأوسعها، وهو كتاب جامع كبر بلغ فيه الغاية ولم يؤلف مثله قط " (المقري، 1998، صفحة 78)، وله شرح صغير على الموطأ مفقود أيضاً، سَمّاه صاحبه "الإيماء" وقد اختصره من كتاب المنتقى اختصاراً بديعاً، حجمه بقدر ربع المنتقى تقريباً، كما ضاعت كتبه حول شرح المدونة الكبرى والتي تعتبر ثاني أمهات المذهب المالكي بعد كتاب الموطأ ويطلق عليها اسم الأم، وهي أصل مذهب المالكيين المقدّم على غيره، وقد شرع الباجي في اختصار وشرح مسائل المدونة الكبرى في كتاب سَمّاه "شرح المدونة"، لكنه لم يتم إكماله، وقد أحال عليه الباجي نفسه باسمه في المنتقى، فقال: "وقد استوعبنا الكلام على هذه المسألة في شرح المدونة". كما له شرح آخر على المدونة باسم "المهذّب" وقد اختصر فيه "المدونة" اختصاراً حسناً. ثم بعد ذلك اختصره في "مختصر المختصر"، وهذه الشروح الثلاثة كلها مفقود.

وله مجموعة أخرى مفقودة من الكتب الصغيرة والرسائل الفقهية ككتاب المقتبس في علم مالك بن أنس: وهو كتاب في الفقه لم يكمله. (عياض، 1983، صفحة 349)

- مؤلفات الباجي العامة:

✓ **الحدود في أصول الفقه:** وهو مؤلف صغير، لكنه جليل القدر وعظيم الفائدة، وخاصة في بيان معاني المصطلحات العلمية الخاصة بعلم أصول الفقه، شرح فيه الباجي وبيّن تعريفات كثيرة ومهمة لطلبة العلم، حيث كان يُسهب أحيانا في كلامه على بعض الحدود ويختصر أحيانا أخرى حسبما يقتضيه المقام وتتطلب الحاجة، وكثيرا ما يذكر حداً من الحدود لبعض شيوخه أو أصحابه، ثم لا يرتضي هذا الحد لما يرى فيه من خلل أو نقص، فيذكر وجوه الاعتراضات عليه، ويُدلي بتعريفه الذي سلم فيه رأيه من الإيراد عليه (ابن فرحون، 1963، صفحة 199)، والكتاب مطبوع وقام بتحقيقه نزيه حماد من تونس، وطُبع بمؤسسة الزغبي للطباعة والنشر، بيروت ودمشق.

✓ **التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح:** وهو من أقدم المصنفات في علم الجرح والتعديل، أبان خلاله الباجي عن رسوخ علمه في معرفة أحوال رجال الحديث وعلمه، حيث بيّن أسماء رجال "صحيح البخاري"، وذكر جملة من المراجع التي استند عليها في الحكم على الرجال ومعرفة أحوالهم، وضمّن أيضاً مجموعة من المعلومات والطرائف، ابتدأ بمقدمة فنية في علم الجرح والتعديل، وضمّن ألفاً وخمسمائة وستة وتسعين ترجمة، لأصبح مستوعبا لمعظم أقوال السابقين قبله، ومصدرا مؤثرا في اللاحقين بعده، مع تبين الأوهام ومواطن الخلل عند العلماء في بعض التراجم المشبهة، فيزيل اللبس، ويبين ما يراه صوابا، أخذ عصارة ثقافة علماء الحديث شرقا وغربا، وأعطى بسخاء لمن جاء بعده من أئمة الحديث في العالم الإسلامي، وهو مطبوع وقام بتحقيقه أحمد ليزار أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش المغربية (رفيع، 2011، صفحة 86).

✓ **الردّ على رسالة الراهب الفرنسي:** بعث أحد رهبان فرنسا برسالة إلى المقتدر بالله أمير سرقسطة يشرح له فيه أصول النصرانية ويدعوه إلى اعتناقها، وكان يومها الباجي يقيم بهذا المملكة فطلب منه حاكمها أن يرّد على مزاعم هذا الراهب، فأجابه الإمام إلى ذلك وأرسل إلى الراهب الفرنسي جوابا مفحما، مُبَيِّنا فيه بطلان عقائد المسيحية التي حرّفت وبُذلت بالحجج الواضحة والأدلة القاطعة، والتي لم يُبق فيها للنصراني فُسحة للدفاع عن معتقده الفاسد، بل وبسط له القول في بيان حقيقة الدين الإسلامي وصدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه إلى ووجوب اتّباعه والدخول تحت لواءه، فكان مما قاله الباجي في معرض الردّ على الراهب: "وإنا لنرباً بمثلِكَ، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام ابن الله تعالى، بل هو بشر مخلوق وعبد مريب لا يعدو عن دلائل الحدوث، والموت الذي كتب على جميع الأنام مما لا يصح على إله قديم، ولا يمكن عند ذوي رأي سليم..." (الباجي، الرد على راهب فرنسا، 1999، الصفحات 65-66) والرسالة مطبوعة ومحققة حقّقها إبراهيم باجس عبد المجيد، وطُبعت سنة (1420هـ، 1999م)، بدار الوطن للنشر والتوزيع بالرياض.

✓ **النصيحة الولدية:** لقد رُزِقَ الباجي بخمسة أولاد أربعة ذكور وبنت واحدة، توفي ثلاثة من أبنائه في حياته، حيث مات اثنان منهما مغتربين بالشرق عندما كان في رحلة علمية، وقد حزن الوالد لموتهما وبكاهما بحرقة، كما مات ابنه أبي الحسن قبل وفاة أبيه بسنتين سنة (472هـ)، وكان شابا متصفا بالنباهة والذكاء، يرجى صلاحه، وبقي من أبنائه أبو القاسم أحمد الذي خَلَفَ أبوه في حلقاته بعد وفاته، وكان إماما في العلوم فقيها أصوليا مع الفضل وحسن التدبّر تفقّه بأبيه وأذن له في إصلاح كتبه، وله بعض المؤلفات مثل: "كتاب سر النظر" و"معيار النظر" و"كتاب البرهان على أنّ أول الواجبات الإيمان، وغير ذلك ورحل وحيّ ومات بجدّة سنة (493هـ)، وكانت ابنته فتاة صالحة زوجها لتلميذه أبي العباس أحمد بن عبد الملك بن موسى الأندلسي. (مخلوف، 2003، صفحة 139)

وكتاب "النصيحة الولدية" عبارة عن جملة من النصائح التوجيهية والتربوية التي أسداها الباجي لولديه أبي الحسن وأبي القاسم في العقيدة والإيمان، والعبادة، والدعوة، والعلاقات البشرية، والآداب والأخلاق، وقد أرشدهما من خلالها إلى التمسك بحسن



الأخلاق وبين لهما سبل الخير وطرق النجاة، والرسالة من الوصايا الشافية والكافية في موضوعها وهي مطبوعة وقام بتحقيقها عبد المجيد إبراهيم باجس وطبعت بدار الوطن بالرياض سنة 1420هـ.

✓ **سنن الصالحين وسنن العابدين:** وهو مؤلف في الزهد والمواعظ والآداب والأمثال والحكم، قال عنه الباجي في مقدمته: "وقدّمْتُ في أوله أدعية استفتحتها بأدعية القرآن، ثم وصلت بذلك فضائل تنشّط عند الفترّة، ومواعظ تُستجلب بها إلى القلوب الرّقة، وتداوي بها من القسوة، وفصولاً يُنتهى بها إلى التحقيق والتحرير، ويصُرف بها عن القلق، وتمنع من التقصير..." (الباجي، سنن الصالحين و سنن العابدين، 2003، صفحة 40) وهو مطبوع ومحقق من إبراهيم باجس عبد المجيد، وتم طبعه بدار ابن حزم في بيروت سنة (1424هـ، 2003م).

وللباجي مصنفات في فنون شتى لم يقيض الله لها البقاء فضاعت ككتاب "الانتصار لأعراض الأئمة الأخيار" تضمّن الرد على أهل الأهواء والبدع والضلال فيما يطعنون به في الأئمة العلماء المشهود لهم بالدين والعلم والفضل، وفي فقه الخلاف ألف كتاب "السراج في عمل الحجاج" وهو كتاب كبير تناول فيه مسائل الخلاف ولم يكمله، كما ضاع كتابه في العقيدة "التسديد إلى معرفة طرق التوحيد"، إضافة إلى كتابيه "تفسير القرآن" و"الناسخ والمنسوخ" وهو كتاب في علوم القرآن، إلّا أنه صاحبه لم يكمل تأليفه، وفُقد له في اللغة كتاب "تهذيب الزاهر" والذي هُذّب فيه كتاب "الزاهر" لابن الأنباري. (عياض، 1983، صفحة 350)

وعلى الرّغم أن أكثر الذي ألفه الباجي في مختلف الفنون فُقد ولم يصل إلينا سوى البعض منها في الفقه والحديث والأصول؛ ليدلّ دلالة صريحة على تلك الجهود العظيمة التي بذلها هذا الإمام في سبيل طلب العلم وبثّه بين النّاس، بل وأصبح واحداً من أعلام هذه الأمّة ممّن يشار إليهم بالبنان.

#### 4. 3 مناظرات الباجي العلمية:

– **مناظرة علماء مدينة دانية:** يرجع الأساس في هذه المناظرة إلى إحدى المسائل العلمية التي تحدّث فيها أبو الوليد الباجي عندما كان يُدرّس شرح صحيح البخاري في مدينة "دانية" الأندلسية، فلما وصل لحديث المقاضاة في صلح الحديبية والذي جاء فيه أنه: "لما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل حتى قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا تُقرّ لك بهذا، لو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: امحُ رسول الله، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يُحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله..." (البخاري، 2010، صفحة 616)

وقد سُئل الباجي في مجلسه على من يعود الضمير في الفعل "فكتب" فقال بظاهر النّص وأنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، فشاع هذا الجواب بين أهل دانية ووصل مسامع بعض فقهاء الذين أنكروا القول بإجازة الكتابة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان على رأس هؤلاء المنكرين الفقيه الزاهد أبو بكر بن الصائغ الذي استعظم القول وأفتى بتكفير الباجي، بل ووصل الأمر إلى لعن الإمام الباجي والتبرؤ منه بين العامة وفي خطب المساجد. (ابن فرحون، 1963، صفحة 199)

وعندما شاع خبر هذا الجدال العلمي وكثر اللغط فيه بين الناس ووصل خبره إلى بلاط قصر أمير دانية، جمع الطرفين وعقد بينهما مناظرة تحت إشرافه من أجل استظهار الحق، فتكلّم المنكرين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ وذكروا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينُكَ إِذْ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت، الآية: 47]، فردّ الباجي على قولهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير: هذا لا ينافي القراءان، بل يؤخذ من مفهوم القراءان لأنّه قيّد النفي بما قبل ورود القراءان، وبعد

أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتباب في ذلك فلا مانع أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى. (ابن حجر، 2004، صفحة 578)

و مع هذه المحنة العلمية التي ابتلي بها الإمام الباجي وكثرة القائلين فيه بالتبديع والزندقة، أسرع بعض الجهابذة من علماء المسلمين في تأييد رأي الباجي وموافقتهم فيه، بل وبيّنوا في رسائلهم وكتبهم مقام هذا الإمام وفضله وحذّروا من الانتقاص من قدره وعلمه، ومن هؤلاء الفقيه المالكي محمد بن أحمد اللحمي الذي أرسل جواباً أكد فيه أن إجازة الكتّاب على النبي صلى الله عليه وسلم ليست بقادحة في نبوته، فقال: "ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يؤذي إماماً من المسلمين معروف بخيره وفضله، وصحة مذهبه وعلمه بالفقه والكلام، ولا أن يُطلق عليه بالتضليل والتبديع".

وكتب أبو الفضل جعفر بن نصر البغدادي: "ولا يحلّ لأحد أن يعتفه فيما أتى به إذ هو إمام الأئمة في المشرق والمغرب ولا سيما بالعراق، وإن أكثر البلاد لمفتقرة لعلمه بالصحيح من الحديث والسقيم، فلو نهض كل من ردّ عليه ليتعلّموا منه أوائل المفترضات عليهم لكان بهم أخرى، ويزيلوا عن أنفسهم الحسد والبغض وإنما يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون". (الباجي، تحقيق المذهب، 1983، صفحة 120)

و لم يقف الباجي عند حدّ الرد على هؤلاء المشتّعين في مجلس الأمير فقط، بل ألّف حول هذه المسألة العلمية كتاباً صغيراً سمّاه "تحقيق المذهب" فصلّ فيه القول في إجازة الكتابة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة ممن قالوا بقوله من سلف الأمة وعلمائها، كما استرسل في نقد حجج المخالفين له وتعقيب على أدلتهم، والرسالة مطبوعة وحققها أحمد لبزار بدار الحديث الحسينية بالمغرب سنة (1397هـ، 1977م)، وحققت من أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وطُبعت بدار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى سنة (1403هـ، 1983م).

– **مناظرات الباجي مع ابن حزم الظاهري** : يعتبر أبو محمد بن حزم الظاهري أحد كبار علماء الأندلس الأفاضل، وقد ولد هذا الإمام بقرطبة سنة (384هـ) ونشأ تنشئة صالحة منذ صغره، وأخذ الفنون عن كبار علماء قرطبة، واتّجه في أول الأمر إلى الفقه المالكي باعتباره المذهب السائد في الأندلس، بل وكان المذهب الرسمي للدولة، ثم تفقّه على المذهب الشافعي وأقام على ذلك زماناً، ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، الذي ثبت عليه ونافح عنه وقعد أصوله، ووضع الكتب في بسطه إلى أن مضى لسبيله رحمه الله، وقد برع ابن حزم في علوم عدّة، في الفقه والتفسير والأصول والمنطق والشعر والتاريخ وغيرها، توفي سنة (456هـ) تاركاً ما يزيد عن الأربعمئة مؤلف قيّم ونافع في مختلف العلوم ؛ منها: الإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والنحل، وجمهرة أنساب العرب وغيرها كثير جداً. (أبو زهرة، 2007، صفحة 17)

وقد تصدّر هذا العالم مجالس العلم بقرطبة وأشاع بها القول بظاهر النصوص الشرعية، وأنكر القول بحجية بعض الأدلة الفقهية كالقياس وتعليل الأحكام وشنّع على القائلين بها، فبرز نجمه في هذه الديار واتّبعه على رأيه جماعة من فقهاء الأندلس، وبعد أن تمّ إجلأؤه وأهله من قرطبة أيام فتنة البربر واستقرّ به المقام في جزيرة ميورقة التي دخلها سنة (430هـ) بطلب من أميرها ابن رشيق، فرأس فيها واتبّعه أهلها بعد أن تمكّن من إفحام بعض فقهاء المالكية ممن ناظرهم في بداية أمره، ومنهم الفقيه ابن الباربة الميورقي الذي يعدّ واحداً من أشهر وأرفع رجال طبقتة، وقد وقع هذا الفقيه أثناء المناظرة في زلة علمية خطيرة أرهاقها بها خصمه ابن حزم، حتى إنّ والي الجزيرة الذي كان يشرف على هذه المجالس في قصره أمر بإيداع الفقيه المالكي السجن، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن رجع عن زلته أمام الشهود، فغادر الأندلس في رحلة طويلة للحج مات خلالها، ثم حاول الفقيه والقاضي أبو عبد الله بن عوف أن يتصدّى لآراء ابن حزم الظاهري ولم يفلح في ذلك وصادف إخفاقاً أيضاً. (تركي، 1986، صفحة 54)

ومع قصور ألسنة الفقهاء عن مجادلة ابن حزم والردّ على أقواله تمكّن هذا الأخير من تعليم أصول مذهبه الظاهري ونشره في الجزيرة، فتفتّظنّ الفقيه محمد بن سعيد الميورقي إلى عودة الإمام لأبي الوليد الباجي وحلوله بالأندلس قادما من بلاد المشرق بعلم وفير ومقام رفيع، فكتّب في طلب هذا الإمام لأجل القدوم فلم يتردّد في قبول الدعوة، وهو الذي كان يعلم مدى شهرة ابن حزم وسعة اطلاعه على مختلف المعارف العلمية، فرأى ضرورة اللقاء بإمام الظاهرية رغبة في دحض مزاعمه والتصدي لهجومه اللاذع على أصول وقواعد المذهب المالكي، وحصل الاجتماع بين هذين العلمين في قصر الأمير والعالم ابن رشيق ووتجادلا تحت إشرافه. (المقري، 1998، صفحة 69)

وجرت بينهما مجالس عديدة أبان الباجي فيها عن فكر جدليّ واسع استطاع من خلاله ردّ الاعتبار للمذهب المالكي وفقهائه، ومكّن لخصوم ابن حزم من التقويّ عليه حتى صار الأمراء يبعدونه عن ممالكهم، كما أعرض الناس عن كتبه والتي أحرقت ومزّقت أكثرها، ولم تمنع هذه المشاحنات العلمية ابن حزم من الاعتراف لخصمه والإقرار بفضلته وسعة علمه، فقال يثني عليه: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي" (ابن بسام، 1978، صفحة 81)، ويظهر هذا بوضوح مدى حسن خلق علمائنا وسلفنا وصفاء قلوبهم حتى مع من كانوا يخالفونهم القول والرأي.

ونظرا لضعف التكوين الجدلي عند فقهاء المالكية رغب الباجي في بيان قواعد هذا الفن لأصحابه؛ فألف ثلاثة كتب في علم الجدل والمناظرة: أولها "المنهاج في ترتيب طرق الحجاج" وهو كتاب بديع في موضوعه؛ ولعلّه يمثل باكورة هذا الفن في بلاد الأندلس، حرص فيه صاحبه على بيان أبواب الجدل وأقسامه وما يترتب عن ذلك من أسئلة وما يقابلها من أجوبة بيانا مجملا ومفصلا، ومفصلا ومدققا، وقد قصد من وراء هذا المؤلف تعليم الأندلسيين المالكيين قواعد علم المناظرة لردّ على ابن حزم الظاهري وأصحابه والانتصار للمذهب المالكي، وهو مطبوع ومحقّق، حقّقه عبد الحميد تركي، وطبع بدرا الغرب الإسلامي ببيروت، ثم بعد ذلك دوّن "فرق الفقهاء" تعرض فيه لمناظراته مع ابن حزم، وكذلك لمناظرة غيره من المالكية مع الفقيه الظاهري، ثم بعد ذلك اختصره في كتاب "التبيين لمسائل المهتدين". (المقري، 1998، صفحة 69)

## 5. الخاتمة:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج متمثلة في :

- حجم التركة العلمية الهائلة التي ورثها الأندلسيون من حكم الأمويين لهذه الديار كان الأساس الذي شيدّ عليه ملوك الطوائف نهضتهم العلمية والحضارية وأسهم بشكل فعّال في استمرار نشاط العلمي وتوجهه في ظل حروب داخلية مزقت البلاد وأهلكت العباد.
- ظاهرة التسابق الشديد بين أمراء الطوائف في العناية بالعلم والعلماء كان له الأثر الإيجابي في ديمومة الحركة العلمية بالأندلس، وذلك من خلال تشييد المراكز العلمية واستقطاب الأئمة الأعلام للإشراف عليها والإغداق عليهم؛ رغبة منهم في كسب المشروعية الدينية لحكمهم وإدراكا منهم لمدى تأثير العلماء في نفوس العوام واختياراتهم السياسية.
- التشجيع الأسريّ الكبير الذي حظي به الإمام الباجي من قبل أهل بيته، إضافة إلى تنقلاته الداخلية بين مختلف الحواضر العلمية الأندلسية واستفادته من شيوخها، وخروجه بعد ذلك في رحلة علمية مباركة طويلة؛ كانت العوامل الرئيسة في تحصيل هذا الإمام لشتى الفنون ورسوخه فيها.
- انتقال الباجي بين شتى أرجاء الأندلس في إطار جهوده الإصلاحية بين أمرائها سهل على طلبة العلم الأخذ عنه و خاصة ممن أفتقدتهم الظروف الاجتماعية و حال الاضطراب الداخلي بينهم و بين الوصول إلى هذا الإمام.

- كثرة تأليف الإمام الباجي و شمولها مختلف الفنون العلمية دليل واضح على رسوخ قدم هذا الإمام في العلم و مدى موسوعيته الهائلة في تحصيل الكثير من العلوم و خاصة ما تعلق بعلوم الشريعة منها على غرار الفقه و الأصول و الحديث.
- دفاع الإمام الباجي عن عقيدة المسلمين في وجه دعوات التنصير التي حملها بعض الرهبان و ذلك من خلال التأليف في الرد على بطلان عقائد النصارى و ظلال عقيدتهم.
- خدمة الإمام الباجي للمذهب المالكي و الذب عن أصول هذا المذهب و نصره آرائه خاصة في مواجهته العلمية مع إمام الظاهرية ابن حزم.

## 6. قائمة المراجع:

- أحمد بن علي ابن حجر. (2004). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الحديث.
- أحمد بن محمد المقرئ. (1998). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . بيروت : دار الفكر .
- أحمد مختار العبادي. (2008). في تاريخ المغرب و الأندلس . بيروت : دار النهضة .
- المالكي ابن فرحون. (1963). الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة : دار إحياء التراث.
- ابن موسى اليحصوي عياض. (1983). ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
- خميس بولعراس. (2006). الحياة الاجتماعية و الثقافية في عصر الطوائف . باتنة ، الجزائر : كلية الآداب و العلوم الإنسانية رسالة ماجستير غير منشورة .
- سليمان بن خلف الباجي. (2009). إحكام الفصول في أحكام الأصول . بيروت : دار ابن حزم .
- سليمان بن خلف الباجي. (1999). الرد على راهب فرنسا . الرياض: دار الوطن .
- سليمان بن خلف الباجي. (2012). المنتقى شرح موطأ مالك . القاهرة : المكتبة التوفيقية .
- سليمان بن خلف الباجي. (1999). النصيحة الولدية . الرياض : دار الوطن .
- سليمان بن خلف الباجي. (1983). تحقيق المذهب. الرياض: عالم الكتب.
- سليمان بن خلف الباجي. (2003). سنن الصالحين و سنن العابدين . بيروت : دار ابن حزم .
- سليمان بن خلف الباجي. (2006). فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء و الحكام . الرياض : مكتبة التوبة .
- عبد الرحمان علي الحجي. (1981). التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة . دمشق : دار القلم .
- عبد المجيد تركي. (1986). مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية . بيروت : دار الغرب الإسلامي .
- عبد الواحد المراكشي. (1967). المعجب في تلخيص أخبار المغرب . القاهرة : مطبعة الإستقامة .
- علي ابن بسام. (1978). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . بيروت : دار الثقافة .
- محمد أبو زهرة. (2007). ابن حزم حياته و عصره آراؤه و فقهه. القاهرة : دار الفكر العربي .
- محمد بن اسماعيل البخاري. (2010). صحيح البخاري. الجزائر: دار الإمام مالك.
- محمد بن محمد رفيع. (2011). معالم الفكر الأصولي المالكي من خلال فكر الباجي الأصولي. الأردن : عالم الكتب الحديث .

- محمد سهيل طقوش. (2008). تاريخ المسلمين في الأندلس. بيروت : دار النفائس.
- محمد عبد الله عنان. (1997). دولة الإسلام في الأندلس . القاهرة : مكتبة الخانجي .
- محمد عبد الوهاب خلاف. (1992). تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى القرن الخامس الهجري . القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة .
- محمد مخلوف. (2003). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . بيروت : دار الكتب العلمية .